مجلة الدّراسات الإسلاميّة
ISSN: 2253-0894 / EISSN: 2661-7390
المجلد 10 ـــــــــــــــــــ العدد 01
جمادى الثاني 1443هـ ـــــ جانفي 2022م
♦ـــــ♦ـــــ♦ ص ص: 105- 117 ♦ـــــ♦ـــــ♦

سياقات التفكير في القرآن الكريم

THE CONTEXT OF THINKING IN THE HOLY QURAN

أبو سفيان اليوسفي(*)	Abou Soufiane Elyousfi
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة ابن طفيل - القنيطرة - المغرب.	Faculty of arts and humanities - Ibn Tofail university - kenitra - Morocco.
مختبر التراث الثقافي.	Cultural Heritage Laboratory.
abousoufiane.elyousfi@gmail.com	

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2021/06/026	2022/03/09	2022/03/17

الملخص:

يعتبر التفكير من أهم المواضع التي اهتم بها القرآن الكريم لما له من أهمية في هداية الإنسان إلى الطريق المستقيم وإثبات وحدانية الله تعالى، وقد تعددت أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى التفكير والحث عليه والدافع إلى ذلك. فأحيانا يأتي الأسلوب القرآني بتذكير العباد بالنعم وأحيانا يأتي بالتهديد والوعيد وأحيانا أخرى يأتي بالدعوة إلى التفكير مباشرة، ولعل الدافع إلى تعدد هذه الأساليب القرآنية هو الإيمان الصادق والاستفزاز بالسؤال أو بفعل ما، ولا يكون ذلك إلا بتحقيق أهداف منشودة في حياة الإنسان، من هذه الأهداف الاستدلال على وجود الخالق جل وعلا والكشف عن السنن الإلهية والتعرف على الطبيعة الإنسانية وأطوار خلقها، كما تطرق البحث إلى أهمية التفكير وترابط العمليات العقلية.

الكلمات المفتاحية: القرآن، العقلية، الدعوة.

*) المؤلف المُرسل.

Abstract:

Thinking is considered one of the most important topics that the Holy Quran has paid attention to; because of ite importance in guiding people to the oneness of god. Besides the Holy Quran has various methods in calling for thinking. Urging it and proof of that. Sometimes the Quranic method comes by reminding the people of blessings sometimes it brings threate and intimidation.

Key Words: thought, Quran, method, mentality.

المقدمة:

الحمد الذي امتن على البشرية بإنزال القرآن ورضي عنهم بعد أن هداهم لطريق الحق والإسلام وأرشدهم لما يحبه ويرضاه ببعثة النبي العدنان صلاة الله وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار ونسأله أن يجمعنا مع عباده الطيبين الطاهرين الأبرار المتقربين له بقيام الليل وصيام النهار المتمسكين بكتاب الله الواحد القهار الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وبعد فإن من أجل النعم التي أنعم الله بها على الإنسان هي نعمة الفكر فمن استثمر هذه النعمة واستخدمها للذي خلقه الله تعالى فإنه يرفعه الله تعالى إلى مرتبة الملائكة ومن خلفها عن ذلك فإن الله تعالى يذله إلى مرتبة البهائم بل أسفل من ذلك. ولهذا حث الله تعالى في القرآن الكريم على الفكر والتفكر في كثير من الآيات بل أنه في بعض المواضع إنما يخاطب المفكرين الذين ترفعوا عن الجاهلية الجهلاء، فلفت سبحانه الأبصار ودعا إلى التفكر والاعتبار وبهذا غلبت حجة القرآن وخضعت لها الأذهان إلا عند قوم أبوا إلا الجحود والإنكار مع أن أنفسهم استيقنت منها وتمكنت ولكنه الظلم والعلو والجحود.

ولأهمية هذا الموضوع فإن الأبحاث فيه قد كثرت وانتشرت ومع ذلك لا زالت الحيرة والدهشة تسيطر على الباحثين لأن أهميته تتجلى وتكمل من خلال اهتمام القرآن الكريم به ودعوة الله إليه وترتيب العقاب عن تخلفه وتعطله، ولهذا جاء هذا البحث المتواضع للكشف عن بعض كساء لفظ الفكر في القرآن الكريم.

1.**تعريف الفكر لغة واصطلاحا**.

1.1 **الفكر لغة**:

عرف أبو بكر الرازي الفكر بقوله: الفكر وقالوا الفكر وهو ما وقع بخلد الإنسان وقلبه. الواحد فكرة وفكر و فكر، وأفكر يفكر افكارا وفكر تفكيرا.[1]

فكر: الفكرة تردد القلب في الشيء يقال تفكر ورجل فكير كثير التفكير.[2]

وقال أبو عبد الله الرازي: التفكر التأمل والاسم الفكر والفكرة والمصدر الفكر بالفتح.[3]

وقال ابن منظور: فكر: الفكر والفكر إعمال الخاطر في الشيء، والفكرة كالفكر وقد فكر في الشيء وأفكر فيه. وتفكر فيه بمعنى واحد، ورجل فكير كثير الفكر.[4]

وقال فيروز أبادي: الفكر بالكسر وبالفتح إعمال النظر في الشيء كالفكرة والفكرة بكسرها.[5]

الملاحظ من هذه التعاريف اللغوية جميعها أنها متقاربة في المعنى وإن كان فيها اختلاف في اللفظ وتدور حول أمرين هامين هما:

- أن التفكير هو نشاط العقل أو كما عبر عنه إعمال العقل.
- أن النشط العقلي ينبغي أن يكون لغاية معينة بمعنى أنه نشاط موجه نحو أمر معين حل مشكلة أو اكتشاف مجهول أو لفهم معنى ما.[6]

2.1 **الفكر اصطلاحا**:

أما تعريف الفكر اصطلاحا فقد عرفه العلماء كل بحسب وجهة نظره، حيث أن كل واحد منهم نظر إليه من زاوية غير الزاوية التي يراها الآخر لهذا تعددت تعاريفه.

فقد عرفه الإمام الجرجاني بقوله: الفكر: ترتيب أمور معلومة التي تؤدي إلى مجهول.[7]

وعرفه أبو البقاء فقال: الفكر: هو الانتقال من المطالب إلى المبادئ ورجوعها من المبادئ إلى المطالب. [8]

وذكر الإمام التهانوي أن الفكر عند المنطقيين المتقدمين يطلق على ثلاث معان أشهرها:

حركة النفس في المعقولات بواسطة القوة المتصرفة أي حركة كانت بطلب أو بغيره وسواء كانت من المطالب أو إليها فخرج بقيد الحركة الحدس لأنه الانتقال من المبادئ إلى المطالب دفعة لا تدريجيا، والمراد بالمعقولات ما ليست محسوسة وإن كانت من الموهومات فخرج التخيل لأنه حركة النفس في المحسوسات بواسطة المتصرفة وتلك القوة واحدة لكن

تسمى باعتبار الأول متفكرة وباعتبار الثاني حركة بواسطتها في المحسوسات تسمى متخيلة هذا هو المشهور.[9]

وخلاصة القول إن هذه التعريفات اتفقت على أن التفكير:

- يبدأ عند وجود مثير ما كحدث أو ظاهر.
- خطواته متسلسلة ومنظمة تبدأ بالملاحظة.
- يهدف للتوصل إلى نتيجة أو حل لمشكلة.[10]

2. **أسلوب التفكر في القرآن الكريم ودوافعه**.

1.2 **أسلوب التفكر في القرآن**:

الذي يتمعن في القرآن الكريم ويتدبره يرى أنه قد تعددت أساليبه في الدعوة إلى التفكير والحث عليه فأحيانا يكون أسلوب القرآن الكريم في الدعوة إلى التفكير من خلال التذكير بنعم الله تعالى على عباده، قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [سورة الروم الآية 20] **وقال تعالى:** ﴿**ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [سورة الروم الآية 21] ولعل ورود الدعوة إلى التفكير في هاتين الآيتين من سورة النحل والروم بهذا الأسلوب وهما سورتان مكيتان، أن الناس كانوا حديث عهد بالإسلام، والأسلوب المكي في القرآن الكريم يختلف عن الأسلوب المدني، لأن هدف القرآن المكي هو تثبيت العقيدة الصحيحة في قلوب الناس لما كانوا عليه من الشرك، لهذا كان الناس في حاجة إلى أدلة كونية وعقلية تثبت وحدانية الله تعالى لترسيخ الإيمان في قلوبهم. ولهذا جاء الأسلوب المكي يدعو الناس إلى التفكير والتدبر في مخلوقات الله تعالى، ومن أبرز الأدلة التي تثبت هذا القول قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [سورة النحل الآيتان 10،11] قال الإمام البغوي في هذه الآية: والشراب ما يشرب الشجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي قوله تسيمون من سامت الماشية إذا رعت فهي سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لأنها تؤثر

بالرعي علامات في الأرض، فإن قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة وإنما أنبت في الأرض بعضها من كلها للتذكرة. يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه على قدرته وحكمته.[11]

ومن أجل هذا فتح عيونهم على ما في أنفسهم من شواهد الحق وعلى ما في الكون من أعلام الرشد ونوع لهم الأدلة وتفنن لهم في الأساليب وقاضاهم إلى الأوليات والمشاهدات ثم قادهم من وراء ذلك قيادة راشدة حكيمة إلى الاعتراف بتوحيد الله تعالى في الوهيته وربوبيته والإيمان بالبعث ومسؤوليته والجزاء العادل ودقته ثم التسليم بالوحي، وبكل ما جاء به الوحي من هدي الله تعالى في الإلهيات والنبوات والسمعيات في العقائد على السواء [12].

وفي أحيان أخرى يأت الحض على التفكير في معرض بيان الغاية التي من أجلها يضرب الله الأمثال ويقص القصص ليلفت النظر إلى آيات الله المبثوثة في الآفاق وفي أنفسهم قال تعالى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[سورة الحشر الآية 21]وقال تعالى: ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون**﴾[سورة الأعراف الآية 176]

وتارة أخرى يكون الأسلوب القرآني في الدعوة إلى التفكير عنيفا مقرونا في بعض الأحيان بالتهديد والوعيد وهذه الآيات موجهة لذوي القلوب القاسية الجاحدة التي تحتاج لمثل هذا الأسلوب الصارم. وغالبا ما تأتي هذه الآيات بأسلوب الاستفهام الاستنكاري مثل قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ**﴾ [سورة الروم الآية 8][13].

وأحيانا يأتي الخطاب القرآني بالدعوة إلى التفكر بلفظة المباشر أو بطريقة غير مباشرة باستخدام بعض وسائل الإدراك الأخرى فقد يرد بصورة مباشرة وأحيانا نجد النصوص تذكر السمع والبصر، ونحن على يقين بأن ذكرهما لا لمجرد السمع أو البصر غالبا بل من أجل التفكر والتدبر. [14]

نستنتج من خلال عرض هذه الأساليب القرآنية في الدعوة إلى التفكر أن آياته قد تنوعت بحسب الغرض الذي أنزلت من أجله وبحسب السياق الذي جاءت به والسور التي وردت فيها

وقد علمنا مما سبق أن آيات التفكر في القرآن الكريم هي ثمانية عشر آية تنوعت موضوعاتها وأساليبها وغاياتها ومن خلال هذه النظرة للآيات القرآنية لقد جاء ذكر التفكر في الغالب في السور المكية وهذا أمر طبيعي إذ الغالب في استخدامها لإعمال الفكر كي يقود إلى معرفة الله الخالق المتفرد ومن ثم إلى الهداية ولا شك أن مسائل الإيمان مبنية على أمور غيبية يلزمها التصديق فكانت في القرآن دلالات كافية في النفس والكون وسائر المخلوقات مما يدل على وحدانية الواحد الأحد، وجزء من معرفة الدلالات مبني على الفكر لابد منه من أجل سلامة الإيمان وقوة اليقين وكلما تعمق الإيمان وقوي اليقين كانت الإيجابية أكثر وثمار الإيمان أعظم وجاء لفظ التفكر في أربع سياقات في سور مدنية هي: البقرة وآل عمران والحشر للتطرق إلى مسائل التشريع وحكمته وتعظيم شأن القرآن الكريم.. [15]

2.2 **دوافع التفكر في القرآن**:

يرى الباحثون أن التفكر لا يحدث إلا إذا سبقه آثار انفعالي سواء كان حسي أو معنوي وبالتالي فإن الإنسان لا يبذل أي جهد في التفكير إلا إذا كان هناك دافع إلى هذه العملية العقلية ولهذا حرص القرآن الكريم على استعراض أهم الأثار والدوافع التي تدفع الإنسان إلى التفكر ومن أهم هذه الدوافع هي:

دافع الإيمان: لا شك أن أعظم الدوافع التي تدفع الإنسان إلى التفكر هو الإيمان فكلما كان الإنسان في درجة عالية من الإيمان كلما كان في درجة عالية من التفكر وخاصة في الآيات الكونية قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[سورة آل عمران الآيتان 190،191]. ذكر المفسرون في تفسير هذه الآية أن عائشة رضي الله عنها قالت: أتاني في ليلتي فدخل في فراشي حتى ألصق جلده بجلدي، فقال: يَا عَائِشَةُ أَتَأْذَنِينَ لِي أنْ أَعْبُدَ رَبِّي فقلت: والله إني لأحب قربك، والله إني لأحب هواك، فقام إلى قربة ماء فتوضأ، ثم قام فبكى وهو قائم حتى روت الدموع حجره، ثم اتكأ على شقه الأيمن، ووضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، فبكى حتى روت الدموع الأرض. ثم أتاه بلال بعد ما أذن للفجر، فلما رآه يبكي قال: أتبكي يا رسول الله وقد غفر الله لك مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وما تأخر؟ فقال: يَا بِلالُ أفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً، وَمَا لِي لا أبْكِي وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةُ ﴿إِنَّ

فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران الآيتان 190، 191] **وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَها وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا.**[16]

الاستفزاز إما بالسؤال أو فعل ما وغالبا ما يكون هذا لبعض أصحاب العقول الجامدة، ومثاله ما قام به إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام مع قومه حيث حطم أصنام المشركين قال تعالى: **﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** [سورة الآيات 62،63،64،65،66]. قال السيد قطب: أن هذه التماثيل لا تدري من حطمها إن كنت أنا أم هذا الصنم الكبير الذي لا يملك مثلها حراكا فهي جماد لا إدراك لها أصلا وأنتم كذلك مثلها مسلوبو الإدراك لا تميز بين الجائز والمستحيل فلا تعرفون إن كنت أنا الذي حطمتها أم هذا التمثال هو الذي حطمها " فسئلوهم إن كانوا ينطقون "، ويبدو أن هذا التهكم الساخر قد هزهم هزا وردهم إلى شيء من التدبر والتفكر فرجعوا إلى أنفسهم.[17]

كما أن القرآن سلك في إثارة التفكير أسلوب السؤال المثير للتفكير وهو أسلوب فعال في إثارة التفكير والأمثلة على ذلك في القرآن الكريم كثيرة ومتعددة منها قوله تعالى: **﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾**[سورة الآيات 37،38،39،40]. وقوله تعالى: **﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾** [سورة الآيات 17،18،19،20،21].

وقوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾** [سورة الروم الآية9]. **(9)** وقوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ**

يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف الآية185] .

3. **أهداف الدعوة إلى استعمال التفكير وأهميته وترابط العمليات العقلية**.

1.3 **أهداف الدعوة إلى التفكير**:

إن عملية التفكير التي ذكرها القرآن الكريم ودعا إلى إعمالها لها أهمية كبيرة في حياة الإنسان، فالقرآن الكريم لم يدع لها اعتباطا أو آيات يقرأها الإنسان فقط فيمر عليها مرور الكرام، كما أن هذه الدعوة ليست دعوة لملاحظة الظواهر الكونية سواء العلوية منها أو السفلية وإنما المراد منها تحديد أهداف عالية في القصد ومن أهم هذه الأهداف:

- الاستدلال على وجود الخالق جلا وعلا وتعميق الإيمان به ويكاد يكون هذا هدفا كليا عاما لجميع العمليات العقلية.
- العمل بمقتضى الحق الذي اهتدى إليه الإنسان بفكره في القرآن الكريم.
- الكشف عن السنن الإلهية في بناء الكون وإحداثه وظواهره بهدف تسخيرها لخدمة الإنسان قياما بواجب الاستخلاف الذي كلف الله تعالى الإنسان على هذه الأرض قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [سورة الجاثية الآيتان 12،13] .
- الكشف عن السنن الإلهية في حياة البشر وقيام الحضارات واندثارها قال تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [سورة آل عمران الآية137] .
- التعرف على الطبيعة الإنسانية وأطوار خلقها وخصائصها وما في خلق الإنسان من حكمة وإبداع. قال الله تعالى ﴿**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ [سورة المؤمنون الآية 14]، فالقرآن الكريم يحثّ على النظر والتفكر في النفس الإنسانية ومراحل خلقها.[18]

فالدعوة إلى التفكير هي دعوة أصيلة لا تأتي عبثا من غير قصد وإنما هي دعوة لها أهداف عالية ومقاصد راقية فهي دعوة إلى استعمال الفكر في جميع نواحي الحياة والنشاط الإنساني، وفي هذا دعوة للمسلمين خاصة والناس عامة إلى جعل التفكير نمط من أنماط حياتهم في جميع شؤونهم اليومية وأن يتحرروا من أفكار العادة والتقليد إلى المعرفة والعلم المبني على الأسس الصحيحة وأن يعرضوا ويخضعوا كل عمل إنساني للبحث والنقد والتمحيص.[19]

ولأجل هذا الهدف أنكر الله تعالى على المشركين وشنع عليهم القول لما أبطلوا عقولهم عن التفكير وأنكروا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وركنوا إلى العادات والتقاليد المخالفة للشرع قال تعالى في شأنهم ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [سورة البقرة الآية 170] .

قال سيد قطب فالآية تندد بتلقي شيء في أمر العقيدة من غير الله وتندد بالتقليد في هذا الشأن والنقل بلا تعقل ولا إدراك.[20]

وفي هذا آية كثيرة في القرآن الكريم لأنه جاء لتحرير الإنسان وتحرير أفكاره من التقليد والعبث الذي لا يليق بالإنسان العاقل.

3ـ1 **أهمية التفكير**:

تتجلى أهمية التفكير في كثير من النقاط نذكر بعضها:

- تكريم الله تعالى للإنسان على سائر المخلوقات.
- سبب قيام الحضارة ونهضتها.
- وسيلة إلى معرفة ما في هذا الكون من حقائق وسكن.
- التفكير هو الوسيلة الموصلة للطاعة أو المعصية.
- يشجع التفكير في القرآن الكريم الفرد على حب الاستطلاع.

3ـ2 **ترابط العمليات العقلية**:

يظهر من خلال البحث أن القرآن الكريم لم يدع إلى التفكر فقط بل دعا إلى التدبر والتعقل والتفقه وأنه ربط بين هذه العمليات في أكثر من موضع بل أنه جمع بينها في موضع واحد ومشهد واحد فجمع بين التفكر والتعقل والتذكر في مشاهد كونية متقابلة ومتشابهة.[21]

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [سورة النحل الآيات 10،11،12،13] .

كما أن هذا الترابط الوظيفي بين العمليات العقلية يظهر جليا في آيات القرآن الكريم من خلال المجالات التي دعا فيها القرآن إلى التفكر والنظر والتدبر، فنجد أن الموضوع الواحد جاءت الدعوة فيه إلى إعمال العقل بألفاظ كثيرة إما بلفظ النظر وإما بلفظ التفكر.[22]

وهكذا فإن مجال التفكر واحد وهو القرآن الكريم لكنه عبر عن ذلك بالفقه تارة وعبر عنه بالتدبر تارة أخرى وغير ذلك من الألفاظ التي تحمل نفس المعنى.

الخاتمة:

ولعل هذا البحث المتواضع يفصح لنا عن حقيقة عملية توصل إليها العلم الحديث، وقد تطرق إليها القرآن منذ قرون خلت، ولها أهمية بالغة في حياة الإنسان، ألا وهي استعمال العقل واستخدامه في جميع مجالات الحياة. إذ لا يمكن للإنسان أن يعيش في هذه الحياة بدون عقل، ولا يمكن أن يحقق شيئا يفيده في دينه ودنياه إلا باستعمال العقل والفكر، ولهذا فإن كثيرا من الآيات القرآنية في موضوع الأحكام أو ضرب الأمثال أو في موضوع القصص، فإن الله تعالى يخاطب فيها العقلاء الذين يستخدمون فكرهم، غير المتجمدين المتحجرين. فنجد كثيرا من الآيات تختتم بقوله تعالى أفلا تتفكرون، لقوم يتفكرون، لعلكم تتفكرون أو غيرها من الألفاظ التي تحمل نفس المعنى. ومن خلاله نصل إلى النتائج التالية:

- أن القرآن الكريم أعطى العقل مكانة عالية ودرجة سامية لا تجدها في كتاب آخر أو قانون آخر.
- أن هذا الدين جعل حفظ العقل من الضروريات،
- أن حفظ العقل من مقاصد هذا الدين.

- أن إفساد العقل خطيئة كبيرة رتب عليها الشرع عقوبة في الدنيا والآخرة.
- أن القرآن الكريم مثل الذين يعطلون عقولهم عما خلقهم من أجله بالبهائم.
- أن استخدام العقل والتفكر في الكون عبادة من أجل العبادات التي أمر بها الشرع ورتب عليها الأجر والثواب.

قائمة المصادر والمراجع:

1) أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، المتوفى سنة 373 هـ، بحر العلوم تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد، الدكتور زكرياء عبد المجيد، الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى سنة الطبع 1413هـ.
2) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني المتوفى سنة 816هـ، كتاب التعريفات، المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، سنة الطبع 1403هـ.
3) عبد الوهاب محمود إبراهيم حنايشة، التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، أطروحة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير، تحت إشراف الدكتور خالد خليل، جامعة النجاح الوطنية في نابلس فلسطين، سنة 2009م.
4) أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي المتوفى سنة 321هـ، جمهرة اللغة، المحقق رمزي منير بعلبكي، الناشر دار العلم بيروت لبنان، ط1، سنة الطبع 1987م.
5) محمود محمد عواد الهيشان، جوانب الفكر والتفكير في القرآن الكريم، رسالة استكمال درجة الماجستير، تحت إشراف: الدكتور محمد أحمد ملكاوي، والدكتور شادية أحمد التل، جامعة اليرموك كلية الشريعة الأردن، سنة 1996م.
6) سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، طبعة جديدة مشروعة مع المراجعة الشاملة والتصويب الدقيق لما كان في الطبعة الأصلية، دار الشروق، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، سنة الطبع 1423هـ الموافق 2003م.
7) أيوب بن موسى أبو البقاء المتوفى سنة 1094هـ، الكليات، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت.
8) محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين بن منظور، المتوفى: سنة 711هـ، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3، سنة الطبع 1414هـ.
9) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، سنة الطبع 1406هـ.
10) زين الدين أبو عبد الله الرازي، مختار الصحاح المتوفى سنة 666هـ، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت صيدا، ط5، 1420هـ.

11) الأستاذ محمد خازر المجالي، مصطلح التفكر كما جاء في القرآن الكريم، مجلة الشريعة والقانون، العدد الثالث والعشرون، ربيع الأول 1426هـ الموافق 2005م.
12) الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 2004م، 1424هـ.
13) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، الناشر دار الحديث، سنة الطبع 1428هـ، 2007م.
14) الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، المحقق: الدكتور نواف الجراح، دار صادر بيروت لبنان، ط1، سنة الطبع: 1429هـ 2008م.
15) محمد بن علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المحقق علي دحروج، الناشر مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1 سنة 1996م.
16) أبو طاهر مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي، المتوفى سنة 817هـ، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط8، 1426هـ، 2005م.

الهوامش:

1 أبو بكر محمد بن الحسين بن دريدر الأزدي المتوفى سنة 321هـ، جمهرة اللغة، المحقق رمزي منير بعلبكي، الناشر دار العلم بيروت لبنان، ط1، سنة الطبع 1987م. باب الراء والفاء والكاف (رفك).

2 أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي المتوفى سنة 375هـ، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، سنة الطبع 1406هـ، كتاب الفاء باب الفاء والام وما يثلثها.

3 زين الدين أبو عبد الله الرازي المتوفى سنة 666هـ، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت صيدا، ط5، سنة الطبع: 1420هـ، باب الفاء، مادة (ف ك ر).

4 محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين بن منظور، المتوفى: سنة 711هـ، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3، سنة الطبع 1414هـ. فصل الفاء حرف الراء.

5 أبو طاهر مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي، المتوفى سنة 817هـ، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط8، 1426هـ، 2005م، باب الراء فصل الفاء.

6 عبد الوهاب محمود إبراهيم حنايشة، التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، أطروحة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير، تحت إشراف الدكتور خالد خليل، جامعة النجاح الوطنية في نابلس فلسطين، سنة 2009م، الصفحة 12.

7 علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني المتوفى سنة 816هـ، كتاب التعريفات، المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، سنة الطبع 1403هـ. باب الفاء.

8 أيوب بن موسى أبو البقاء المتوفى سنة 1094هـ، الكليات، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت، فصل الألف والدال.

9 محمد بن علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المحقق علي دحروج، الناشر مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، سنة 1996م، الجزء الثاني، حرف الفاء.

10 التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم عبد الوهاب إبراهيم حنايشة، الصفحة 13.

11 الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2004م، 1424هـ.

12 الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، المحقق: الدكتور نواف الجراح، دار صادر بيروت لبنان، ط1، سنة الطبع: 1429هـ 2008م، ص: 202.

13 محمود محمد عواد الهيشان، جوانب الفكر والتفكير في القرآن الكريم، رسالة استكمال درجة الماجستير، تحت إشراف: الدكتور محمد أحمد ملكاوي، والدكتور شادية أحمد التل، جامعة اليرموك كلية الشريعة الأردن، سنة 1996م، ص: 34.

14 الأستاذ محمد خازر المجالي، مصطلح التفكر كما جاء في القرآن الكريم، مجلة الشريعة والقانون، العدد الثالث والعشرون، ربيع الأول 1426هـ الموافق 2005م، بالتصرف.

15 المصدر السابق الصفحة: 43-42 بالتصرف.

16 أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، المتوفى 373هـ، بحر العلوم، الجزء الأول الصفحة 274.

17 سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق، تفسير سورة إبراهيم.

18 جوانب الفكر والتفكير في القرآن الكريم، محمود محمد الهيشان بتصرف.

19 المصدر السابق ص 48.

20 تفسير سيد قطب في ظلال القرآن تفسير سورة البقرة.

21 جوانب الفكر والتفكر في القرآن الكريم.

22 المصدر السابق.